المحاضرة الثالثة: مصطلحات أساسية

(النحو/ الإعراب/ الإسناد/ التركيب/ الجملة / الكلام/ الكلم)

لا يمكن أن تُدرَس أبواب النحو و قضاياه قبل تقديم مفاهيم مبسّطة للمصطلحات المركزية لهذا العلم:

1. النحو:

عرّف "ابن جني" في كتابه "الخصائص" النحو بقوله: هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع... والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة..."[1] إذ ليست الغاية من تعلّم النحو متابعة الأوائل من العرب في طرائق كلامهم أو تقليدهم لغرض المحاكاة نفسها، بل الهدف بلوغ درجة مقاربة لهم في السلامة والفصاحة...

2. الإعراب:

الإعراب في اللغة يعني:

- **الإبانة والإيضاح:** يقال "أعرب الرجل عن حاجته" أي أبان عنها وكشفها.
- **التغيير:** كقولهم "عربت المعدة" إذا تغيرت حالها.

أمّا في اصطلاح النحويين فالإعراب فهو **"تغيير يلحق أواخر الكلمات العربية من رفع ونصب وجر وجزم، وذلك حسب المواقع التي تقع فيها هذه الكلمات، وحسب العوامل الداخلة عليها**[2]".

شرح المفهوم كما ورد في السياق:

- **المعنى الوظيفي** :الإعراب هو الوسيلة التي يتم بها تحديد الوظائف النحوية للكلمات داخل الجملة (فاعل، مفعول به، مضاف إليه... إلخ).
- **ارتباطه بالعوامل** :الحركة الإعرابية ليست ثابتة، بل تتبع "العامل"؛ فإذا تغير العامل (مثل دخول حرف جر أو فعل) تغيرت العلامة الإعرابية في آخر الكلمة.

[1] ابن جني، الخصائص، ج1، ص34.

[2] عباس حسن، النحو الوافي، القاهرة، مصر، ج1، ص74.

- **الفرق بينه وبين البناء** :الإعراب هو "التغيير"، بينما البناء هو "لزوم آخر الكلمة حالة واحدة" مهما تغير موقعها أو العوامل الداخلة عليها.

أمثلة:

- جاء **محمدٌ** (رفع لأنه فاعل)
- رأيت **محمداً** (نصب لأنه مفعول به)
- مررت **بمحمدٍ** (جر لدخول حرف الجر) هذا التحول في الدال (الحركة) يعكس التغير في المدلول (الموقع الإعرابي).

3. التركيب:

هو الشرط الأول لتحديد مصطلح الكلام أو الجملة، ويعني استقلال اللفظ وعدم احتياجه لشيء آخر؛ ولذلك يقول "الزمخشري": **"الكلام هو المركّب من كلمتيْن أُسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتى إلّا في اسميْن كقولك: زيدٌ أخوك، وبِشْرٌ صاحبُك، أو في فعل واسم نحو قولك: ضُرِبَ زيدٌ، وانطلق بكر، وسُمّيَ الجملة"**[3] وموضع الشاهد في النصّ المقتبس توظيفه مصطلح "المركّب" وابتداؤه به. وهذه إشارة واضحة؛ لأنّ النحويين القدامى يعتبرون التركيب أساس تكوين وبناء الجملة العربية.

4. الإسناد:

هو الشرط الثاني؛ ويعني ضم كلمة إلى أخرى بحيث تتم بها الفائدة. كما يشرح العالم "ابن يعيش" الإسناد بقوله: "الإسناد ليس مطلق التركيب، بل تركيب الكلمة مع الكلمة إذا كان لإحداهما تعلق بالأخرى على سبيل الذي به يحسن موقع الخبر وتمام الفائدة" [4] فالإسناد يتحقق في اسمين نحو: (زيدٌ أخوك) أو في فعل واسم (قامَ محمدٌ).

للإشارة؛ يُعد "قبول الإسناد إليه" من أبرز علامات **الاسم**؛ أي أن يكون المسند إليه "متحدثاً عنه".

تتألف الجملة من "مسند" و"مسند إليه"؛ ففي جملة مثل: (تبسمَ الرجلُ)، "تبسم" هو المسند، و"الرجل" هو المسند إليه. الإسناد هو "الأساس في بناء الجملة، وقد ورد ذكر المسند والمسند إليه في أقدم كتاب وصلنا

[3] أحمد جار الله الزمخشري، المفصل في علم العربية، ص16.

[4] ابن يعيش، شرح المفصل، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص72.

في النحو كتاب سيبويه"[5] وقد وضّح "سيبويه" حقيقة الإسناد في معرض حديثه عن الجملة التي لا تقوم إلا على المسند والمسند إليه.

5. الجملة:

الجملةُ "ميدان الدراسة النحوية؛ لأنّ النحو لا يُعنَى بالصوت وما يرتبط به من آثارٍ لغوية ولا باللفظة الواحدة وما يتصل بها، وإنّما يهتم بالكلمة المنسوجة مع الأخرى في تركيب جملي، وليست الألفاظ المتآلفة في جمل إلا صور منطوقة لما هو حاصل من التركيب المعنوي" [6]

6. الكلام:

هو اللفظ المركب المفيد بالوضع .قال "ابن مالك": "صرّح سيبويه في مواضع كثيرة من كتابه بما يدلّ على أنّ الكلام لا يطلق حقيقة إلّا على الجمل المفيدة، فمن ذلك قوله: " واعلم أنّ (قلت) في كلام العرب إنّما وقعت على أن يُحكى بها ما كان كلامًا لا قولًا، عنى بالكلام الجملة"[7]

7. بين الكلام والجملة (الترادف والتباين)

اختلف العلماء في نظرتهم إلى مفهوميْ الكلام والجملة بين مُساوٍ و مفرّقٍ بينهما:

- **الترادف:** ذهب جمهور النحاة (مثل ابن جني، والجرجاني، والزمخشري) إلى أن الكلام والجملة مترادفان؛ فكل ائتلاف بين كلمتين يفيد معنىً يسمى كلاماً ويسمى جملة.
- **التباين:** خالف ابن هشام هذا الرأي؛ فقال: "الكلام إنّما هو تركيب إسنادي مفيد مقصود لذاته يسوّغ السكوت عليه. أمّا الجملة فيرى أنّها تركيب إسنادي لايشترط أن تكون مستقلة بنفسها قائمة برأسها، كما يشترط أن تكون مستوفاة المعنى؛ ذلك أنّ التراكيب الإسنادية جملة الشرط وجملة جواب الشرط، وجملة الصلة التي أقرّ بأنّها جمل، وماهي بجمل قد أخرجها من دائرة الكلام

[5] سناء حميد البياتي، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، دار وائل للنشر، ط1، 2003، ص31.
[6] علي جابر المنصور، الدلالة المنية في الجملة العربية، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة، عمان، ط1، د ت، ص25.
[7] شرح التسهيل، جمال الدين بن مالكن تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط1، 1983، ج1، ص422.

لخلوّها من الفائدة المستقلة بها" [8] يرى أن الجملة أعم من الكلام؛ لأن الكلام يشترط فيه "الإفادة"، بينما الجملة قد تكون غير مفيدة (مثل جملة الشرط، وجملة الصلة)، فكل كلام جملة ولا ينعكس.

8. **الكلمة**

يختلف معنى "الكلمة" لغويًا عنه في الاصطلاح النحوي؛ إذ تدل في معاجم اللغة **على** الجملة المفيدة فقد قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هوَ قَائِلُهَا﴾[9] وقال سبحانه: ﴿ وَكَلِمَةُ اللهِ هي العُلْيَا﴾[10] أو الكلام المطول المؤّلَّف كالقصيدة والخطبة والمقال...

وفي التحديد الاصطلاحي فالكلمة هي "اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع، وهي جنس ثلاثة: الاسم، والفعل، والحرف"[11] فلكل كلمة دلالتها المستقلة. وهي لاتخرج عن الأقسام الثلاثة المذكورة (اسم، فعل، حرف)

9. **الكلم:**

جمع "كلمة"؛ قال "ابن الأنباري": "اسم جنس واحده (كلمة) كقولك نبقة ونبق، ولبنة ولبن، وثقنة وثقن وما أشبه ذلك"[12] و يردف موضِّحًا الفرق بينه وبين الكلام "أن الكلم ينطبق على المفيد وغير المفيد، أمّا "الكلام" فلا ينطبق إلا على المفيد"[13] وبهذا يكون "الكلم" أوسع وأشمل من "الكلام"؛ ذلك أنّ الكلم قد يدلّ على الألفاظ المؤتلفة المفيدة، كما قد يحيل إلى ماهو غير مفيد.

من جهة أخرى إذا قارنَّا بين مصطلحيْ "الكلم والكلم، يتضّح أنّ الكلم لفظ مركب، بينما الكلمة لفظ مفرد مستقل.

---

[8] رابح بومعزة، الجملة في القرآن الكريم صورها وتوجهها البياني، دار ومؤسسة رسلان، سوريا، د ط، 2008، ص18.

[9] سورة المؤمنون، الآية100.

[10] سورة التوبة، الآية40.

[11] المفصّل في علم العربية، أبو القاسم محمود عمر الزمخشري، تح: فخر صالح قدارة، دار عمار، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص6.

[12] أبو البركات بن الأنباري، أسرار العربية، تح: محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق– سوريا، ص23.

[13] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.